

تشكيل المنظمات العمالية

شأن العمال انفسهم

منصور حكمت

ترجمة: فارس محمود

ان القاء نظرة على المطالب التي طرحها العمال في خضم نضالاتهم على امتداد السنوات المنصرمة تبين مسألة مهمة، وفي الحقيقة نقطة ضعف خطأ مهمين في عمل العمال الطبيعيين. نقول العمال الطبيعيين لان هذه المجموعة من العمال ذات دور مهم في صياغة مطالب وشعارات النضال الحاري للعمال. وبدون شك، في حالة ان هؤلاء الرفاق ينهلون من خط اصولي ومدروس، ستتقدم الحركة العمالية خطوات كبيرة للامام .

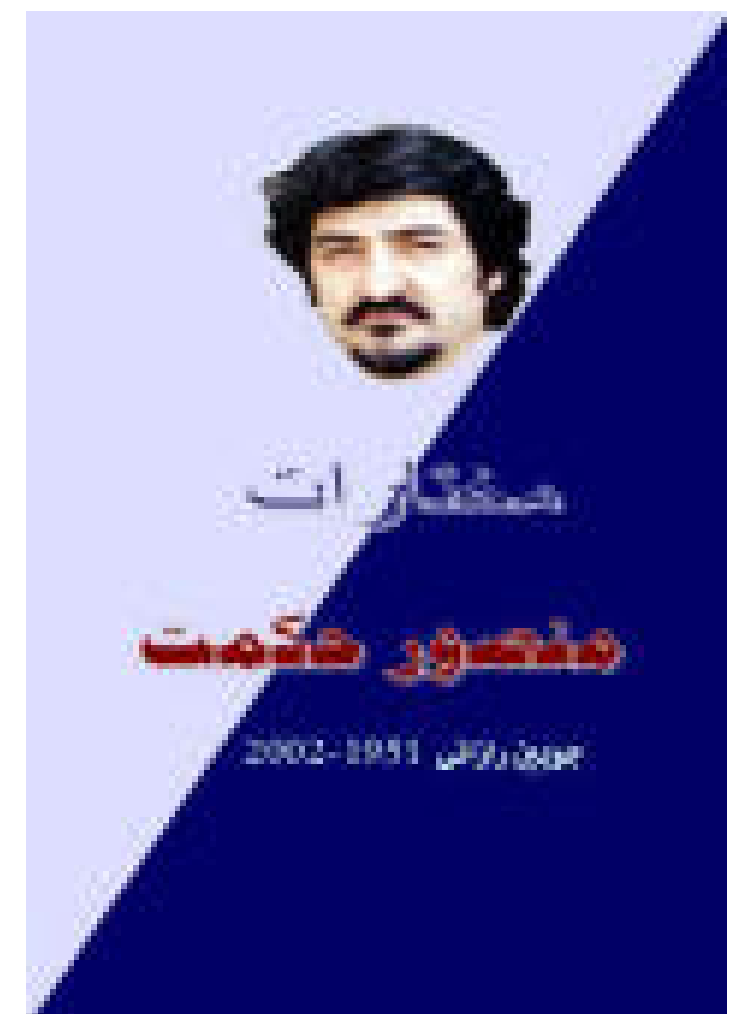
ولكن اي نقابي اصلاحي وذا تجربة قضى ردحا في تعقب الحقوق النقابية للعمال سيحتج على كلامنا هذا بالطبع ويقول: "انها حقيقة وانكم انتم الشيوعيون توافقون عليها هي ان العمال بحاجة الى تنظيمهم الجماهيري. ليس بوسع العمال ان يصيروا وهم يشهدون يوميا تقليص وتصادف وضغط وشدة العمل وحرماناتهم ويقفوا مكتوفي الايدي .ويقوموا في صبيحة يوم، وبصورة فورية، بالثورة الشيوعية، ليقيموا الحكومة العمالية ويطبقوا كل ماذكرتموه انتم الشيوعيون في برنامجكم. على العمال ان يناضلوا، وبصورة يومية، من اجل تحسين اوضاعهم" وان ذلك يستلزم منظمات جماهيرية ومهنية للعمال ."

هذا صحيح فنحن متفقون مع ما ذكر حتى الآن وليس هذا وحسب، بل نقول ان المنظمات الجماهيرية للعمال هي ليست الاداة الوحيدة لتحسين اوضاعهم فحسب، بل بوسعها كذلك ان تكون ارضية لتحسين تنظيم العمال وتسريعه تحت مظلة السياسة الثورية للطبقة العاملة، اي السياسة الشيوعية. بل اننا الشيوعيون لانتمير ليس الاصلاحات فحسب، بل حتى الثورة العمالية امرا عمليا دون المنظمات الجماهيرية المختلفة للعمال، اي دون منظمات تنظم في صفوفها ملايين العمال .

ولكن صديقنا النقابي يستنتج من هذا :

"حسناً اذا كان من المقرر ان المنظمات الجماهيرية تتعقب مطالب العمال، يجب ان تتواجه مع الحكومة وأرباب العمل. الحكومة وأرباب العمل ليستا على استعداد للتحديث مع تنظيمات لا تعترف بها من الناحية القانونية. وعليه، علينا ان ندعوهم بكلام جميل الى ان يشتركوا هم انفسهم في مجالسنا ونقابياتنا. ان يمنحوا العمال رخصة تأسيسها ويرسلوا ممثلينهم ويراقبوا انتخاباتهم كي لا يتمكنوا بعد ذلك ان يخلقوا المشاكل لنا وان يتخلصوا من المفاوضات مع ممثلي النقابة ..."

نحن نعارض الاستنتاج بالذات .نقول على ذلك انه استنتاج خاطيء من مقدمات صحيحة. ونسبي ذلك بدفاع أخرق عن حقوق العمال. لماذا؟ لانه :



اولاً، ينبغي ان نتنبه الى ان ايسة اصلاحات او تحسن، وان يكن جزئياً، في حياة العمال في المجتمع الرأسمالي هو نتيجة جانبية وثانوية لنضالهم الثوري. ان اردت عليك ان تظهر الاقتدار المستقل للعمال بوجه الحكومة والرأسماليين. ليس ثمة حكومة، مهما تكن درجة خداعها وتضليلها، ترغب بالتفاوض مع عمال مطيعين وقانونيين تعلم مسبقاً انهم لايلجأون الى الاضراب والاعتصام والتظاهرات والعمل المباشر. كم مرة رايتم الحكومة وهي تتجاهل العمال وحتى شرعت بتهديد العمال والتبجح ضدهم، ولكن ما أن رأيت القوة المستقلة والحازمة للعمال وهي تنتصب امامها، ما ان ووجهت بالتهديد والاضراب العام، كانت نفسها، تترأض خلف العمال وتعبر عن استعدادها للتفاوض مع المشلين الحقيقيين للعمال. لايمكن النضال ضد الحكومة وارباب العمل عبر نيل رضاهما. على العمال ان يفرضوا اقتدارهم عليهما .

وفيما يتعلق بتأسيس المجلس والنقابة والاقرار بها، يسري نفس القانون الاساسي للنضال الطبقي. ان الاصلاحات هي نتاج عرضي للنضال الثوري وان اي اصلاح او تحسن جزئي كذلك يجب فرضه بالقوة التضامنية والمقاتلة للطبقة العاملة على الطبقة الرأسمالية والحكومة. ان المجلس والنقابة هما أداة لنضال العمال صوب نيل حقوقهم .حقوقا اغتصبها الرأسماليون ولايتخلوا عنها بالكلام اللطيف. لايمكن عبر نيل رضى الحكومة والرأسمال ان تشكل اداة النضال ضدهما. ليس ثمة دولة برجوازية تؤسس للعمال مجلس ونقابة حقيقيتين وتشرع الايوب امام سبيل انتخاب المشلين الحقيقيين والثوريين للعمال. يجب ان نفرض المنظمات الجماهيرية ومثليها الحقيقيين على الحكومة. ينبغي علينا، وعبر القوة التضامنية والمتحدة للعمال، ان نجبر الحكومة وارباب العمل على الاقرار بمجلسنا ونقابيتنا. انها قوانا وحسب، قوانا النضالية الموحدة التي تمنح الشرعية لمجلسنا ونقابيتنا، وتجعل ممثلينا ذا "صلاحية" .

واكثر من هذا فإن امراءاً يقوم وبمحض ارادته يجلب الحكومة للتدخل في شؤون الطبقة العاملة من اجل تحسين وضع الاخيرة، لايتعدى ان يكون صديقاً احمقاً للعمال في احسن الاحوال. انه يبيع المصالح الطبقيّة الاساسية والعامّة للعمال بقيمة المصالح الآتية والجزئية التي ليس معلوماً ايضاً الى اي حد يمكن تحقيقها عبر السبل المسالمة. ان مجمل نضال العمال ضد الرأسماليين هو نضال من اجل انهاء تطاول الرأسمال والرأسماليين على الحياة الاقتصادية والسياسية للعمال. نضال ينبغي ان يتواصل حين الاطاحة بمجمل سلطة الطبقة الرأسمالية على المجتمع. نضال ينبغي ان يؤدي الى ارساء الحكومة العمالية. بيد ان اصدقائنا قصيري النظر الذين لايشغل باهم سوى "قانونية" المجلس والنقابة، يبيعون استقلال العمال بنقابة اصلاحية وتتمتع بثقة الحكومة والرأسماليين .والافانه ليس ثمة اي عامل ذا رؤية ووعي مستقبلي، يطلق اليوم طواعية ايادي الحكومة للتدخل في شؤون العمال ويدعوها لان تأتي وتنظم العمال حسب هواها او ان تخرج ممثلين مسالمين ومطيعين بل حتى متخاذلين و مساويمين من صناديق الاقتراع ، لكي تكون الحكومة مستعدة غداً للتفاوض مع ممثلي النقابة حول نسبة مئوية ما لزيادة الأجور. طبقاً لهذا الاسلوب، اي عبر طلب تأسيس مجلس او نقابة من الحكومة ووزارة العمل، لن يكون نصيب العمال سوى نقابة صفراء موالية للحكومة ومجلس اسلامي مأجور من قبل الجمهورية الاسلامية .

اذا ابتغينا ان يكون لنا مجلس ونقابة حقيقية ونجبر الحكومة على الاقرار بمجلسنا ونقابيتنا، فان سبيل ذلك هو ان نشرع نحن انفسنا وبصورة مباشرة بتأسيس مجلس ونقابة وان نعلم الحكومة وارباب العمل ووزارة العمل ايضاً ان العمال الموحدين، العمال المتضامنين وجماهير عمال المعمل يعدون المجلس والنقابة هما مجلسهم ونقابيتهم يدافعون عنها بصورة موحدة ولايسمحوا ان تمس شجرة من رأس مثليها وقادتها. هنا ايضاً، بوسع هذه القوة الموحدة والمتضامنة للعمال ان تخضع الحكومة .

ان نتيجة اي شكل لتدخل الحكومة في تأسيس المجلس والنقابات معلومة سلفاً. ألم نرى ونجرب، ولمرات، كيف فرضوا علينا جواسيس حزب الله تحت اسم المجلس. ألم نرى ونجرب ان ممثلينا الحقيقيين لم يقبلوهم او حتى اعتقلوا وطردوا؟ ألم نرى ان حضرات سادة وزارة العمل رفضوا "صلاحية" العمال الشيوعيين والثوريين و أعاقوا انتخابهم بالتزوير وشتى الاساليب الملتوية والمخادعة؟ أ من المقرر ان تبقى الامور على هذه الشاكلة وان تتكرر هذه التجارب؟

من الممكن ان يقول احد ما: "ان هذا العمل، اي دعوة الحكومة للتدخل في تأسيس النقابات نابع من انعدام الخيلة. لان الدولة لها اليد الطولى قبالة العمال". بالطبع ان هذا عامل مؤثر في طرح هذا المطالب الخاطيء. بيد ان الذهنية "القانونية" والنقابية لقسم من العمال ذا دور مهم كذلك في هذه المسألة. انه لكاف ان نستذكر تجربة عمال الطباعة في طهران. اذ قرر الرفاق عمال الطباعة في طهران بعد الثورة، اي حين كان للعمال اليد الطولى تماماً، حل نقابة مرحلة الشاه وتأسيس نقابة جديدة. ان ممثلي النقابة السابقة ادعوا ان المدة "القانونية" لتمثيلهم لم تنتهي بعد، ولن يتنحوا طالما ان ليس هناك مرجع قانوني يسلموا له وثائق النقابة واموالها وطالما لم تتحدد "قانوناً" ادارة جديدة. انه لامر لشيء للاستغراب!. في اوضاع هرب فيه الشاه والقوانين ومجمل المؤسسة الصانعة للقوانين من ايادي العمال المسلحين، يأتي ممثل النقابة السلطوية والملكية و يداعي بقانونيته والادهي من هذا ومبعث اسف العمال الطبيعيين للطباعة قد

استسلموا لهذا المنطق. كانوا يعتقدون يوماً، ولثلاثة اشهر، الجلسات كي يعدوا للانتخابات، نشروا في الجرائد بيان الانتخابات ودعوا وزارة عمل الجمهورية الاسلامية الى المشاركة في الانتخابات والاشراف عليها. ان حضرات المشلين "القانونيين" ادعوا في نفس يوم الانتخابات انه يجب ان يشرفوا هم على الانتخابات لانه هيئة الادارة السابقة، طبقاً للقانون، هي التي تعقد الانتخابات. ماذا حصل؟ لاشيء. جاءوا وتقدموا الميدان ومرروا كلامهم وحقق مرة اخرى اشخاصهم الفوز في الانتخابات. خضع وانهزم العمال الذين انتفضوا بصورة مسلحة امام اوامهم الداعية لسلك القانون وسعيهم للمحافظة على رضا وزارة العمل. يجب تعلم الدروس من مثل هذه التجارب !

اننا الشيوعيون دعاء استقلال الطبقة العاملة في النضال. نحن الشيوعيون دعاء ان تتنظم الطبقة العاملة وان تناضل بالاعتماد على نفسها وقوتها المستقلة لنيل مطالبها الطبقيّة .

نقول نحن الشيوعيون: ايها العمال ان تشكيل المجلس والنقابة هو عملكم انتم ولايستلزم ترخيص الحكومة ورب العمل و اشراف وزارة العمل .

نقول ان دافعتهم عن تنظيمكم بصورة متضامنة ومتحدة، ان شكلكم انتم اولا تنظيمكم، شكلكم مجلسكم ونقابيتكم واقريتموها، تعملون فيها كجسد واحد، عندها، فقط عندها، تستطيعون فرض اعتراف الحكومة، اي حكومة، بها .

نقول ان المجلس والنقابة التي تأسسها الحكومة لكم، وحتى ان تتم الموافقة على ذلك، لن تكون مجلس ونقابة عمالية. ستكون مهزلة نقابية دميتها بهيئة عمال. ان مجلس اسلامي ونقابة صفراء حكوميتين هما ثمة مثل هذه الطريقة .

نقول، على العمال ان يشروعوا فوراً وبصورة مستقلة تماماً عن الحكومة بتأسيس مجالسهم الحقيقية، يشكلوا جمعياتهم العامة المعملية، ينظمو جلساتها، ويقروا بها بوصفها اعلى هيئة عمالية لسن القرارات وان تقف بوجه



الحكومة وارباب العمل ووزارة العمل. ان التجمع العام الرسمي والمنظم هو اول مجلس واقعي .

نقول على العمال ان يعلنوا، وبصورة متضامنة وموحدة، ليس للحكومة اي حق في التدخل في تأسيس مجالس ونقابيات العمال. على الحكومة ان تعترف باي مندوب واي تنظيم انتخابي واسسه العمال بارادتهم .

نقول نحن الشيوعيون ان الطبقة العاملة تتحرر عبر قواها فقط.على العمال ان يتوحدوا وينظمو في منظماتهم المستقلة وعلى راسها في حزبها السياسي، في الحزب الشيوعي، ويصعدوا من نضالهم الثوري لقلب مجمل النظام الرأسمالي. سيكون اي اصلاح جزئي و اي تحسن بسيط في اوضاع العمال نتيجة جانبية لهذا النضال الثوري. ومتى ما ينفذ العمال اباديهم من النضال الثوري، سيحرروا من الاصلاحات والتحسين النسبي لوضاعهم ايضاً .

ايها العمال! ان تأسيس المجالس والمنظمات العمالية هو شأنكم. لايتطلبه من الحكومة ولايتنظروا ترخيص و اشراف الحكومة. على العكس، اعلنوا ان ليس للحكومة اي تدخل في هذه المسألة ويجب ان تعترف بالمنظمات الجماهيرية للعمال دون قيد او شرط .

ان النضال المستقل والاستناد الى قوة الجماهير العمالية هما السبيل الوحيد للنضال

منصور حكمت

كتب منصور حكمت مدراء من حزب الله و يقصد القريبون من سلطة الجمهورية الاسلامية و حزب الله الايراني .

نشرت هذه المقالة لأول مرة في جريدة كومينست، الشيوعي، الجريدة المركزية للحزب الشيوعي الايراني، العدد الثالث الصادر في ١٩٨٤. (المترجم).